﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [المائدة: 46]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

الـــربـــط بـين أحكام القصاص في الـتّـــوراة والإنـجـيـل، والـــدّعـــوة لـلاحـتـكـام إلى القرآن الجليل

لمَّا بيَّن الله ﷻ في الآية السَّابقة بعضَ ما ورد من أحكام القصاص في التَّوراة الَّتي حَكمَ بها موسى، ومن تَبعَه من أنبياء بني إسرائيل عليهم السلام؛ أَردفَ هنا في هذه الآية الكريمة حديثَه عن نبيٍّ من أنبيائهم، وهو عيسى بن مريم عليه السلام الَّذي بعثَه الله مُصدِّقًا لمَا بين يديه منَ التَّوراة، وحاكمًا بشريعتها،" وأنزلنا إليه الإنجيل هاديًا إلى الحقّ، ومبيِّنًا لمَا جهله النّاس مِن حكم الله، وشاهدًا على صدق التّوراة بما اشتمل عليه من أحكامها، وقد جعلناه بيانًا للّذين يخافون الله، وزاجرًا لهم عنِ ارتكاب المحرَّمات"[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿وَقَفَّيْنَا﴾: (قَفِيَ): القاف والفاء والحرف المعتلّ: أصلٌ صحيحٌ، يدلُّ على إتباعِ شيءٍ لشيء. من ذلك القَفوُ، يُقالُ: قَفَوت أَثَرَه. وقَفَّيتُ فلانًا بفلان، إذا أَتبعتُه إيَّاه. وسُمِّيت قافيةُ البيت قافيةً؛ لأنَّها تَقفو سائرَ الكلام، أي: تَتلوهُ وتَتبعُه. والقَفا: مؤخَّر الرَّأس والعنق، كأنَّه شيءٌ يَقفو الوَجه. والقافية: القَفَا[2]، وفي المعجم الوسيط: "قفّى على الشَّيء: غشيه أَو ذهب به، والشّعر: جعل له قافية، و- فلانًا وبه: أتبعه إيَّاه. ويُقال: قفّى على أَثَره بفلان...(اقتَفاه): تبعه، و- الشَّيء: اختارَه وفلانًا بأمر: اختصّه به، ويُقال: اقتفى بفلان: خصّ نفسه به"[3].

(1) لجنة من علماء التفسير، التفسير الميسر، ص: 116.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (قفي).
(3) مجمع اللّغة العربيّة بالقاهرة، المعجم الوسيط: (قفا).

2) ﴿ءَاثَٰرِهِم﴾: (الأَثَرُ): بقيَّة الشَّيء، والجمع: آثارٌ وأُثورٌ، والخَبَرُ، وخَرَجَ في إِثْره وأَثَره: بَعدَه، وائتَثَرَه وتَأَثَّرَه: تَبعَ أَثَرَه، وأَثَّرَ فيه تأثيرًا: ترك فيه أثرًا[1]، ومعنى اللّفظ في الآية: "وأَتبَعنا عيسى بن مريم على آثار النّبيئين الّذين أسلموا من قبلك"[2]، والضّمير في ﴿ءَاثَٰرِهِم﴾؛ إمَّا للنّبيّين لقوله: ﴿يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ﴾ [المائدة: 44]، وإمَّا لِمَن كُتبت عليهم تلك الأحكام، والأوّل أظهر؛ لقوله في موضع آخر: ﴿ثُمَّ قَفَّيۡنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيۡنَا بِعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ﴾ [الحديد: 27][3]، و"قوله: (آثارهم) جمع أثر، وهو العلم الّذي يظهر للحسّ، وآثار القوم: ما أبقوا من أعمالهم، وقوله ﴿عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم﴾ تأكيد لمدلول فعل ﴿قَفَّيۡنَا﴾، وإيماء إلى سرعة التّقفية"[4].

3) ﴿مُصَدِّقًا﴾: (صَدَقَ): الصَّاد والدَّال والقاف أصل يدلُّ على قُوَّة في الشَّيء، ومن ذلك الصِّدقُ: خلاف الكذب، سُمِّيَ لقوَّته في نفسه، ولأنَّ الكذب لا قوَّة له، إذ هو باطلٌ، وأصل هذا من قولهم: شيءٌ صَدقٌ، أي: صُلبٌ، ورُمحٌ صَدق، ويُقال: صَدَقوهم القتال، وفي خلاف ذلك كَذَبوهم، والصِّدِّيقُ: المُلازم للصِّدق، والصَّداقُ: صَداقُ المرأة؛ سُمِّيَ بذلك لقوَّته، وأنَّه حقٌّ يَلزَم[5]، وقوله تعالى في الآية الَّتي معنا: ﴿وَقَفَّيۡنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ﴾، أي: مُصدِّقًا ما تقدَّمَه منَ الكتب، وهذا كما في قوله تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ﴾ [آل عمران: 3][6]، والمعنى المستفاد من كون الإنجيل مصدّقًا، " أي: أنّ الإنجيل قد كان بذاته مصدّقًا للتّوراة، من حيث صدق نسبتها إلى اللّه تعالى، قبل تحريفها، وقبل أن ينسوا حظًّا منها"[7].

4) ﴿وَهُدًى﴾: الهدايةُ: دلالةٌ بلطف، ومنه: الهديَّة، وخصَّ ما كان دلالةً بهدَيت، وما كان إعطاءً بأهدَيت، نحو: أهديتُ الهديَّة، وهَدَيتُ إلى البيت، والمرادُ بالهداية الَّتي جُعِلَ للنَّاس بدعائه إيَّاهم على ألسنة الأنبياء، وإنزال القرآن ونحو ذلك، وهو المقصود كذلك

(1) الفيروزابادي، القاموس المحيط: (أثر).
(2) مكّيّ القيسّي، الهداية إلى بلوغ النّهاية: 3/1763.
(3) السّمين، الدّرّ المصون: 4/282.
(4) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 4/282.
(5) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (صدق).
(6) الرّاغب، المفردات: (صدق).
(7) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 4/2219.

بقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ [السّجدة: 24][1]، الهدى منَ الهداية، وهي: "دلالة بلطف، ومنه الهديّة، وهوادي الوحش، أي: متقدّماتها الهادية لغيرها، وخصّ ما كان دلالة بهديت، وما كان إعطاء بأهديت، نحو: أهديت الهديّة، وهديت إلى البيت "[2].

5) ﴿وَمَوْعِظَةً﴾: الوعظ: هو التّذكير بالخير فيما يَرِقُّ له القلب[3]، وهو: زَجرٌ مُقترنٌ بتخويف، والعِظَة والمَوعِظَة: الاسم، قال تعالى: ﴿يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النّحل: 90]، وقال سبحانه: ﴿قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [يونس: 57][4].

وقال الخليل: هو التّذكير بالخير فيما يرقّ له القلب، وذكروا له نماذج في القرآن الكريم، كقوله تعالى: ﴿يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النّحل: 90]، ﴿۞قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ﴾ [سبأ: 46]، ﴿ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾﴾ [المجادلة: 3]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [يونس: 57]، وغيرها منَ الآيات المؤكّدة على الموعظة وجلالها وأهمّيّتها[5]، ومعنى لفظ (موعظة) هنا: يؤكّد أنّ الإنجيل همزة وصل بين التّوراة الّتي يصدّقها، والقرآن الّذي يبشّر به، على اعتبار أنّه "موعظة حسنة للمتّقين؛ لاشتماله على النّصائح والإرشادات البليغة، وخصّ المتّقون بالذّكر؛ لأنّهم المقصودون به في علم الله، ولأنّهم الّذين ينتفعون بتلك المواعظ"[6].

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

يخبرُ الله تعالى عبادَه في هذه الآية الكريمة، بأنَّه أرسلَ عبدَه ورسولَه عيسى بن بن مريم ﷺ على إثر أنبياء ورُسل بني إسرائيل الَّذين كانوا يحكمون بالتَّوراة، مُصدِّقًا لمَا بين يديه منَ التَّوراة، حاكمًا بشريعته، وموافقًا له في أكثر الأمور الشَّرعيّة في كتاب الإنجيل الَّذي جعلَه مَنبعَ هدايةٍ لصراط الله المستقيم، وخاصَّةً لمن ينتفعُ ويتَّعظُ به منَ المتَّقين[7].

(1) الرّاغب، المفردات: (هدى).
(2) الزّين، تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم: (هدى).
(3) الخليل، العين: (وعظ).
(4) الرّاغب، المفردات: (وعظ).
(5) الزّين، تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم: (هدى).
(6) الزّحيلّي، التّفسير الوسيط: 1/466.
(7) السّعديّ، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 188.

وخلاصة المعنى في هذا المضمار: أنّ الله تعالى يقول: "وأتبعنا أنبياء بني إسرائيل عيسى بن مريم، مؤمنًا بما في التّوراة، عاملًا بما فيها، ممّا لم ينسخه كتابه، وأنزلنا إليه الإنجيل هاديًا إلى الحقّ، ومبيِّنًا لمَا جهله النّاس مِن حكم الله، وشاهدًا على صدق التّوراة بما اشتمل عليه من أحكامها، وقد جعلناه بيانًا للّذين يخافون الله، وزاجرًا لهم عن ارتكاب المحرَّمات"[1].

الإنجيل منبع هداية الله لبني إسرائيل، لم ينتفع بتعاليمه إلّا المتّقون منَ الحواريين

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

أثر العطف في ترابط السّياق، ودوره في ثراء المعنى وجلائه:

جاء قوله تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم﴾ عطفًا على ما سبقه من قوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾ [المائدة: 44]، انتقالًا إلى أحوال النَّصارى لقوله: ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ﴾ [المائدة: 47]، ولبيان نوعٍ آخرَ من أنواعِ إعراض اليهود عنِ الأحكام الَّتي كتبَها الله عليهم، فبعدَ أن ذكرَ نوعين راجعين إلى تحريفهم أحكام التَّوراة: أحدهما: ما حرَّفوه وتَردَّدوا فيه بعد أن حرَّفوه، فشكُّوا في آخر الأمر، والتجؤوا إلى تحكيم الرَّسول. وثانيهما: ما حرَّفوه وأَعرَضوا عن حُكمه، ولم يتحرَّجوا منه، وهو إبطالُ أحكام القصاص. وهذا نوعٌ ثالثٌ: وهو إعراضهم عن حُكم الله بالكلّيَّة، وذلك بتكذيبهم لمَا جاء به عيسى عليه السلام، و" ولمَّا كان عدم بيان إرداف موسى عليه السلام بجمع من أرسل معًا مرادًا، لم يقل: (وقفّيناه بالرّسل)، فإنّ المراد منه تقفية كلّ منهم لموسى عليه السلام بالذّات، وليس كذلك بل قال: (قفّينا من بعده بالرّسل)، على تضمين ﴿وَقَفَّيْنَا﴾ معنى جئنا من بعده بالرّسل، مقتفين أثره، ومتّبعين شريعته، فمن قال: أصل الكلام قفّينا موسى عليه السلام بالرّسل، فترك المفعول به، وأقيم من بعده مقامه،

تأكيد عبوديّة عيسى عليه السلام لله الخالق، وأنّه ليس بدعًا منَ الرّسل

(1) نخبة من أساتذة التّفسير، التّفسير الميسّر، ص: 116.

لم يصب، وكذا تفسير المصنّف (رحمه الله) التّقفية بالإرسال تبعاً للزّمخشريّ غير صواب، وهذا تخيّل لا وجه له؛ لأنّ التّقفيّة إمّا محسوسة، كأن يمشي على أثره، أو معقولة كاتّباع شريعته، وكلّ من ذلك، لا دلالة له على المعيّة"[1].

التَّضعيف وأثره في تجلية المعنى في قوله تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا﴾:

قولـه: (عَـلَى آثـارهـم) تأكيد لمـدلـول فعـل (قفّينا) وإفـادة سرعة التَّقفية

وجاء فعل ﴿وَقَفَّيْنَا﴾ مُضعَّفًا، والأصل في التَّضعيف أن يُفيدَ تعدية الفعل إلى مفعول، لم يكن مُتعدِّيًا إليه، فإذا جُعِلَ تضعيفُ ﴿وَقَفَّيْنَا﴾ هنا، مُعَدِّيًا للفعل، اقتضى مفعولين: أوَّلهما: الَّذي كان مفعولًا قبل التَّضعيف. وثانيهما: الَّذي عُدِّيَ إليه الفعل، فيكونُ حقُّ التَّركيب: (وقفَّيناهم عيسى ابنَ بن مريمَ)، ويكون إدخالُ الباء في ﴿بِعِيسَى﴾ للتَّأكيد[2]، ويكون على الوجه الثَّاني إدخالُ الباء في ﴿بِعِيسَى﴾ للتَّعدية[3]، وعلى كلا الوجهين السَّابقين يكون مفعول ﴿وَقَفَّيْنَا﴾ محذوفًا، والظَّرف الَّذي هو ﴿عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم﴾؛ كالسَّادِّ مَسَدَّه؛ لأنَّه إذا قَفَّى به على أَثره، فقد قَفَّى به إيَّاه[4]، وقوله: ﴿عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم﴾ تأكيدٌ لمدلول فعل ﴿وَقَفَّيْنَا﴾ وإفادةٌ سُرعةِ التَّقفية، وضميرُ ﴿ءَاثَـٰرِهِم﴾ للنَّبيِّين والرَّبّانيِّين والأحبار، ويجوزُ أن يكونَ ﴿ءَاثَـٰرِهِم﴾ على طريقتهم وهديهم.

حذف المفعول به للفعل ﴿وَقَفَّيْنَا﴾، ودلالة عبارة ﴿عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم﴾ على المحذوف:

قال علماء اللّغة ومفسّرو البيان: إنّ (قفَّى) معناه عقّب، ويُقال: قفَّيته بكذا، أي: أتبعته به، وهنا نجد المفعول محذوفًا، فلم يكن النّصُّ (قَفّيناهُم بعيسى بنِ مَريَمَ)، وحذف لأنّ كلمة ﴿عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم﴾

(1) الخفاجيّ، عناية القاضي: 2/197.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 6/218.
(3) الزّمخشريّ، الكشّاف: 1/617.
(4) الزّمخشريّ، الكشّاف: 1/617.

تدلُّ على المحذوف، إذ إنّ المحذوف هو (النّبيُّون السّابقون الّذين يحكمون بالتّوراة)، وكلمة ﴿عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم﴾ تدلّ على أنّهم هم الّذين اقتفيت آثارهم[1]، وأمّا قوله تعالى: ﴿عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم﴾ فهو "متعلّق بقفّينا، و﴿بِعِيسَى﴾ متعلّق به أيضًا، وهذا على سبيل التّضمين، أي: (ثمّ جئنا على آثارهم بعيسى بن مريم قافيًا لهم)، وليس التّضعيف في ﴿وَقَفَّيْنَا﴾ للتّعدية؛ إذ لو كان للتّعدية ما جاء مع الباء المعدّية، ولا تعدّى بـ(على)، وذلك أنّ (قفا) يتعدّى لواحد قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: 36]. وتقول: (قفا فلان الأثر) إذا اتّبعه، فلو كان التّضعيف للتّعدّي لتعدّى إلى اثنين منصوبين، وكان التّركيب: (ثمّ قفّينا على آثارهم عيسى ابن بن مريم)، ويكون (عيسى) هو المفعول الأوّل، و﴿ءَاثَٰرِهِم﴾ المفعول الثّاني، لكنّه ضُمّن معنى (جاء)، وعدّي بالياء، وتعدّى إلى ﴿ءَاثَٰرِهِم﴾ بـ﴿عَلَىٰٓ﴾. وقال الزّمخشريّ: "قفّيته مثل عقّبته إذا اتبعته، ثمّ يُقال: قفّيته بفلان، وعقّبته به، فتعدّيه إلى الثّاني بزيادة الباء"[2].

دلالة قوله تعالى: ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾:

(بَـــيْنَ يَـــدَيَّ) تفيد أنّ التّوراة تَـقـدَّمـتـه، والمُتَقدِّم يكون بـين يـدي مَـن تقدَّم

وقوله تعالى: ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾، المُصَدِّقُ: المُخبِرُ بتصديق مُخبِرٍ، وأُريدَ به هنا المُؤيِّدُ المُقَرِّرُ للتّوراة، قال الطّبريّ في تعليل قوله تعالى: ﴿وَمُصَدِّقًا﴾: "لأنّ عيسى صلوات الله عليه كان مؤمنًا بالتّوراة مقرًّا بها، وأنّها من عند الله، وكذلك الأنبياء كلّهم، يصدّقون بكلّ ما كان قبلهم من كتب الله ورسله، وإن اختلف بعضُ شرائع أحكامهم؛ لمخالفة الله بينهم في ذلك، مع أنّ عيسى كان - فيما بلغنا - عاملًا بالتّوراة، لم يخالف شيئًا من أحكامها، إلّا ما خفَّف الله عن أهلها في الإنجيل، ممّا كان

(1) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 4/2216.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/277.

مشدَّدًا عليهم فيها"[1]، وجعلَها بين يديّه؛ لأنَّها تَقدَّمته، والمُتَقدِّمُ يُقالُ: هو بين يدي مَن تقدَّم، و﴿مِنَ﴾ بيانٌ لِمَا في ﴿ٱلتَّوۡرَىٰةِ﴾[2]، وهذه الجملة: ﴿مُصَدِّقًا﴾ حالٌ من عيسى بنِ مريم ﷺ، و﴿مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ﴾ حالٌ من (ما) أو منَ الضَّمير في الظَّرف ﴿بَيۡنَ يَدَيۡهِ﴾[3]، قال بعض العلماء: "ولو سايرنا الواقع عند النّصارى في هذه الأيّام، لكان لذكر كلمة التّصديق في هذا المقام معنى أعمق من مجرّد التّصديق بأصل النّزول، بل بالتّنفيذ؛ لأنّ الإنجيل ليس فيه أحكام عمليّة كثيرة، فأحكام الأسرة كلّها مأخوذة عند النّصارى منَ التّوراة، وليس ثمّة نصٌّ قاطعٌ في الأناجيل الّتي بين أيدينا، يغاير ما جاء في التّوراة من أحكام، تتعلّق بالأسرة، ولا بأحكام العقوبات من حدود وقصاص، ولقد رويت عباراتٌ عندهم منسوبةٌ للمسيح ﷺ تدلّ على العمل بأحكام التّوراة، مثل قوله ﷺ: (ما جئت لأنقض النّاموس)، أي: التّوراة"[4].

دلالة العطف وتوالي الحال في قوله: ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡإِنجِيلَ﴾ ﴿وَمُصَدِّقًا﴾ ﴿وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٗ﴾:

جعل الإنجيل كلّه هدى بعد جعله مشتملًا على الهدى

أفادَ نظمُ العطف وورود الحال في السّياق زيادةَ التَّقرير، بتصديق الإنجيل للتَّوراة، وذلك في قوله: ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡإِنجِيلَ﴾ عطفٌ على ﴿وَقَفَّيۡنَا﴾[5]، وقوله: ﴿فِيهِ هُدٗى﴾ جملةٌ في موضعِ الحال منَ الإنجيل، وقوله: ﴿وَمُصَدِّقًا﴾ حالٌ أُخرى منَ الإنجيل، ويمكنُ أن يكون حالًا من (عيسى)[6]، وقوله: ﴿وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٗ﴾ كلاهما حالٌ منَ الإنجيل، وكذلك حال من (عيسى)، أي: هاديًا وواعظًا، أو ذا

(1) ابن جرير، جامع البيان: 6/438.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 6/218 - 219.
(3) العكبريّ، التبيان: 1/217.
(4) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 4/175.
(5) أبو السُّعود، إرشاد العقل السّليم: 2/65.
(6) العكبريّ، التبيان: 1/217.

هدًى، وذا موعظة، ويجوزُ أن يكونا مفعولًا لأجله: أي قَفَّينا للهدى، أو وآتيناه الإنجيل للهدى، وكذلك في ﴿وَمَوْعِظَةً﴾، أي: قَفَّينا للموعظة، أو وآتيناه الإنجيل للموعظة[1]، وقوله: ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ عطفٌ على ﴿هُدًى وَنُورٌ﴾[2]، وجاء التَّكرير فيه لما تقدّم مثله؛ لزيادة التَّقرير، وقوله: ﴿وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ عطفٌ على ﴿وَمُصَدِّقًا﴾ مُنتظِمٌ معه في سلك الحاليَّة، وجُعِلَ كلُّه هدًى بعد ما جُعِلَ مُشتملًا عليه، حيث قيلَ ﴿فِيهِ هُدًى﴾[3].

وأشار أبو زهرة إلى أنّ: "كلمة ﴿بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ تعبير قرآنيّ؛ للدّلالة على أنّ التّوراة كانت حاضرة قائمة وقت مجيء عيسى ﷺ وعلمًا عنده، وهو علم خالٍ منَ التّحريف والتّبديل، أوحى الله به إليه، ولفظ ﴿بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ في دلالته على الأمر المهيّأ القائم منَ الاستعارات الرّائعة، ومضمونها أنّ الأمر معلوم علمًا يقينًا لعيسى بن مريم ﷺ، كعلم المحسوس، يكون موضوعًا بين يديه"[4].

تخصيص الهدى والموعظة بالمتّقين في قوله: ﴿وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾:

مدار الهدى والموعظة على التّقوى، ولا ينتفع بالكتاب إلّا المتّقون من أولي الألباب

وتَخصيصُ كونه هدًى وموعظةً بالمتَّقين؛ لأنَّهم في الأساس هم المهتدون بِهداه ونوره، والمُنتفِعون ببركة مضمونه وسطوره، وفي هذا المعنى يقول المراغيّ: "وأمّا كونه هدى وموعظة للمتّقين خاصّة، فلأنّهم هم الّذين يهتدون بمثل هذه الحقائق، ويتّعظون بما ينطبق عليها منَ الوقائع، فيستقيمون ويسيرون على النّهج السّويّ، ويتجنّبون نتائج الإهمال الّتي تظهر لهم مضرّة عاقبتها، فالمؤمن حقًّا هو الّذي يهتدي بهدى الكتاب، ويسترشد بمواعظه"[5]، وهذا الوصف ذاته هو الّذي وصف به الله القرآن في قوله تعالى من سورة آل عمران: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾﴾ [آل

(1) الزَّمخشريّ، الكشَّاف: 1/617.

(2) في قوله: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ﴾ [المائدة: 46] تشبيه بليغ للإنجيل بالنّور والهدى، وحذف أداة التّشبيه، ليكون نفس الإنجيل للمبالغة. صافي، الجدول: 6/367.

(3) أبو السُّعود، إرشاد العقل السّليم: 2/65.

(4) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 4/175.

(5) المراغيّ، تفسير المراغيّ: 4/78.

عمران: 138]، وبنفس التّعليل يمكن أن يُفهم تخصيص الهدى والموعظة بالمتّقين،" وإنّما قيل: ﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾؛ للإيذان بعلّة الحُكم، فإنّ مدارَ كونِه هدىً وموعظةً لهم، إنّما هو تقواهم، ويجوز أن يُرادَ بالمتّقين الصّائرين إلى التّقوى، والهدى، والموعظة على ظاهرهما، أي: هذا بيانٌ لمآل أمر النّاس، وسوء مَغبّته، وهدايةٌ لمنِ اتّقى منهم"[1].

وصف الإنجيل بمثل ما وصف به التّوراة؛ لبيان التّكامل والتّواصل بين الدّيانات:

كتب السّماء: حلقات من سلسلة الوحي متّصلة الأواخي بالهدى والموعظة

"وصف القرآن الإنجيل، بمثل ما وصف به التّوراة، وبكونه مصدّقًا لها، وجعله هدى وموعظة للمتّقين، لأنّهم هم الّذين ينتفعون بهداه؛ لحرصهم عليه وعنايتهم به: والسّر في ذلك أنّ أسرار الشّريعة، وبيان حكمتها، والمقصد منها، ومعرفة أنّ بعد هذه التّوراة، وهذا الإنجيل، هداية أعمّ وأشمل، وهي التّي يجيء بها النّبيّ الأخير (البارقليط) الأعظم[2]، وقد قال تعالى في مَطلع سورة آل عمران في العلاقة المتكاملة بين الكتابين: ﴿وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ [آل عمران: 3 - 4]، قال ابن المنذر: "هما كتابان أنزلهما الله التوراة والإنجيل فيهما بيان مِنَ الله، وعظة لمن أخذ به، وصدق به، وعمل بما فيه"[3]، وروي عنِ الفرّاء أنّه قال: اشتقاق التّوراة من وري الزّند، وهو ما يظهر منَ النّور والضّياء، فسمّي التّوراة بها؛ لأنّه ظهر بها النّور والضّياء لبني إسرائيل، ومن تابعهم، وإنّما سمّي الإنجيل؛ لأنّه أظهر الدّين بعد ما درس"[4].

كيف وردتِ الهداية في آيات قرآنيّة دالّة على التّعنيف، مع أنّها في الأصل دلالة بأسلوب لطيف؟

القرآن يستعمل الهداية بعكس المعهود في معرض الاستهزاء المقصود

إن قيل: كيف جعلتِ الهداية دلالة بلطف، وقد قال تعالى: ﴿فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ۝٢٣﴾ [الصّافات: 23]، ﴿وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ

(1) أبو السُّعود، إرشاد العقل السّليم: 2/88.
(2) المراغيّ، تفسير المراغيّ: 6/127.
(3) ابن المنذر، كتاب تفسير القرآن: 1/115.
(4) السّمرقنديّ، بحر العلوم: 1/193.

ٱلسَّعِيرِ ﴿٤﴾﴾ [الحجّ: 4]، قيل: ذلك استعمل فيه استعمال اللّفظ على التّهكّم مبالغة في المعنى، كقوله: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾﴾ [الانشقاق: 24]، وقول الشّاعر:

..... *** تحيّةُ بينهم ضربٌ وجيعُ[1].

وفي قوله: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾﴾ [الانشقاق: 24]، أي: الّذي يقوم لهم مقام البشرى. (عذاب أليم)، أي: موجع، والبشارة تكون بالخير والشّرّ، فإذا أفردت كان خيراً، يقال: بشّرته وبشَرته خفيفاً[2]، وقد سمّى العَذاب: بِشارَة؛ لأنَّه وضعه مَوضِع البشارة[3].

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

(قَفَّينا) و(أَتْبَعنا):

لفظ (قفّى) فعل عند العرب اشتُهر في تعقّب الخطى، وتتبّع الأثر

انطلاقًا من قوله تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا﴾: سبقَ بيانُ معنى الفعل ﴿وَقَفَّيْنَا﴾ في فقرة: شرح المفردات، وأمَّا (أَتبعنا) فيُقال: تَبِعَه واتّبعَه: قَفَا أثرَه، وذلك تارةً بالجسم، وتارةً بالارتسام والائتمار، وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [البقرة: 38]، وقولُه تعالى: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ﴾، ويُقالُ: أَتبَعَه: إذا لحقه، قال تعالى: ﴿فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [الشّعراء: 60][4].

واستخدام البيان الإلهيّ للفعل ﴿وَقَفَّيْنَا﴾ أَقوى في الإتباعِ واللَّحاق منَ الفعل (أَتبَعنا)، وخاصَّةً أنَّها في أمر مُتعلِّق بدين وشريعةٍ سماويَّة، واستعمالُها أَشهرُ في تقفِّي الأثَر، ولذلك أُضيفَت إليها في الآية الكريمة.

(1) الزّين، تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم: (هدى).
(2) مكّيّ القيسّي، الهداية إلى بلوغ النّهاية: 12/8170.
(3) السّمعانّي، تفسير القرآن: 1/368.
(4) الرّاغب، المفردات: (تبع).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد التاسع، سورة المائدة من الآية 26 إلى الآية 106
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة المائدة من الآية 26 إلى الآية 106 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 9 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-61-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 9 : سورة المائدة من الآية 26 إلى الآية 106.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-61-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-3504784 بتاريخ 2023/03/27م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»